@ 928 @ وربما بقي له الفضل والمنة على الناس ، فتمحض عبدا ، لأنه رقيق إحسانه وحده . وأما من بقيت عليه نعمة الناس ، فلم يجزها ويكافئها ، فإنه لا بد أن يترك الناس ، ويفعل لهم ما ينقص إخلاصه . وهذه الآية وإن كانت متناولة لأبي بكر الصديق رضي ا عنه ، بل قد قيل : إنها نزلت بسببه ، فإنه رضي ا عنه ما لأحد عنده من نعمة تجزى ، حتى ولا رسول ا صلى ا عليه وسلم ، إلا نعمة الرسول التي لا يمكن جزاؤها ، وهي نعمة الدعوة إلى الإسلام ، وتعليم الهدى ودين الحق ، فإن ورسوله المنة على كل أحد . منة لا يمكن لها جزاء ولا مقابلة ، فإنها متناولة لكل من اتصف بهذا الوصف الفاضل . فلم يبق لأحد عليه من الخلق ونعمة تجزى ، فبقيت أعماله خالصة لوجه ا تعالى . ولهذا قال : ! 2 2 ! هذا الأتقى بما يعطيه ا من أنواع الكرامات والمثوبات . تم تفسير سورة الليل والحمد رب العالمين . سورة الضحى ! 2 2 ! أقسم تعالى ، بالنهار إذا انتشر ضياؤه بالضحى ، وبالليل إذا سجى ، وادلهمت ظلمته ، على اعتناء ا برسوله صلى ا عليه وسلم ، فقال : ! 2 2 ! ، أي : ما تركك منذ اعتنى بك ، ولا أهملك منذ رباك ورعاك ، بل لم يزل يربيك أكمل تربية ، ويعليك درجة بعد درجة . ^ (وما قلا) ^ ك ا ، أي : ما أبغضك ، منذ أحبك ، فإن نفي الضد ، دليل على ثبوت ضده ، والنفي المحض ، لا يكون مدحا ، إلا إذا تضمن ثبوت كمال . فهذه حال الرسول صلى ا عليه وسلم الماضية والحاضرة ، أكمل حال وأتمها ، محبة ا له ، واستمرارها وترقيته في درجات الكمال ، ودوام اعتناء ا به . وأما حاله المستقبلة ، فقال : ! 2 2 ! ، أي : كل حالة متأخرة من أحوالك ، فإن لها الفضل على الحالة السابقة . فلم يزل صلى ا عليه وسلم يصعد في درجات المعالي ، ويمكن ا له دينه ، وينصره على أعدائه ، ويسدده في أحواله ، حتى مات ، وقد وصل إلى حال ما وصل إليها الأولون والآخرون من الفضائل والنعم ، وقرة العين ، وسرور القلب . ثم بعد هذا ، لا تسأل عن حاله في الآخرة ، من تفاصيل الإكرام ، وأنواع الإنعام . ولهذا قال : ! 2 2 ! وهذا أمر لا يمكن التعبير عنه إلا بهذه العبارة الجامعة الشاملة . ثم امتن عليه بما يعلمه من أحواله الخاصة ، فقال : ! 2 2 ! ، أي : وجدك لا أم لك ، ولا أب ، بل قد مات أبوه ، وهو لا يدبر نفسه ، فآواه ا ، وكفله جده عبد المطلب ، ثم لما مات جده ، كفله ا عمه أبا طالب ، حتى أيده بنصره وبالمؤمنين . ! 2 2 ! ، أي : وجدك لا تدري ما الكتاب ، ولا الإيمان ، فعلمك ما لم تكن تعلم ، ووفقك لأحسن الأعمال والأخلاق . ! 2 2 ! ، أي : فقيرا ^ (فأغنا) ^ ك ا ، بما فتح عليك من البلدان ، التي جبيت لك أموالها وخراجها . فالذي أزال عنك هذه النقائص

، سيزيل عنك كل نقص ، والذي أوصلك إلى الغنى ، وآواك ونصرك ، وهداك ، قابل نعمته بالشكران . ولهذا قال : ! 2 2 ! ، أي : لا تسيء معامل اليتيم ، ولا يضق صدرك عليه ، ولا تنهره ، بل أكرمه ، وأعطه ما تيسر ، واصنع به كما تحب أن يصنع بولدك من بعدك . ! 22 ! ، أي : لا يصدر منك كلام للسائل ، يقتضي رده عن مطلوبه ، بنهر وشراسة خلق ، بل أعطه ما تيسر عندك أو رده بمعروف وإحسان . ويدخل في هذا : السائل للمال ، والسائل للعلم ، ولهذا كان المعلم مأمورا بحسن الخلق مع المتعلم ، ومباشرته بالإكرام ، والتحنن عليه ، فإنه في ذلك معونة له على مقصده ، وإكراما لمن كان يسعى في نفع العباد والبلاد .